الفصل الرابع

من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة

- تكريم الإسلام للمرأة باعتبارها « إنساناً »
- تكريم الإسلام المرأة بنتاً .
- تكريم الإسلام المرأة الأنثى .
- تكريم الإسلام المرأة « زوجة » .
- تكريم الإسلام للمرأة « أماً » .
- المرأة عضواً فى المجتمع

obeikandl.com

obeikandl.com

من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة

● **تكريم الإسلام للمرأة باعتبارها (إنساناً)**

لقد انبثق نور الإسلام ليضع الأمور فى مكانها الصحيح فاعترف بكاملية إنسانية المرأة ورفع عنها ما كانت تعانيه عبر التاريخ من ظلم واحتقار واضطهاد وكفل لها من الحقوق ما لم يكفله لها أى تشريع آخر . فقد جاء الإسلام وبعض الناس ينكرون إنسانية المرأة ، وآخرون يرتابون فيها ، وغيرهم يعترف بإنسانيتها، ولكنه يعتبرها مخلوقاً خلق لخدمة الرجل .

فكان من فضل الإسلام أنه كرَّم المرأة ، وأكد إنسانيتها ، وأهليتها للتكليف والمسئولية والجزاء ، ودخول الجنة ، واعتبرها إنساناً كريماً ، له كل ما للرجل من حقوق إنسانية ، لأنهما فرعان من شجرة واحدة .

فهما متساويان فى أصل النشأة ، متساويان فى الخصائص الإنسانية العامة ، متساويان فى التكاليف والمسئولية ، ومتساويان فى الجزاء والمصير .

وفى ذلك يقول القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١) .

وقال رسول الله ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال » [1]

وإذا كان الناس ـ كل الناس ـ رجالاً ونساءً ، خلقهم ربهم من نفس واحدة ، وجعل من هذه النفس زوجاً تكملها بها كما قال فى آية أخرى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف:١٨٩) .

---

(١) رواه أحمد وأبو دواد والترمذى .

وبث من هذه الأسرة الواحدة رجالاً كثيراً ونساءً ، كلهم عباد لرب واحد ، وأولاد لأب واحد وأم واحدة ، فالأخوة تجمعهم [1]

● **تكريم الإسلام المرأة بنتاً**

لقد أولى الإسلام : الحفاوة والتقدير للمرأة منذ أول وهلة تهبط على وجه البسيطة : « قال رسول الله ﷺ : ساووا بين أولادكم ـــ فلو كنت مفضلاً أحداً ـــ لفضلت النساء » [2] .

وينقل لنا المؤرخون الكثير من الأحاديث والوصايا التى تشد المسلم لأن يلقى بثقله نحو العناية بالمرأة . بنتاً كانت . أم زوجاً . أم أماً .

لقد انتهج الإسلام سبيل الأغراء والترغيب فى حب الأنثى .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت علىّ امرأة ومعها بنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال :« من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » [3] .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :« من عال جاريتين حتى تبلغا ـ جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه » [4] .

وقال : « من كانت له أنثى . فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده الذكور عليها ، أدخله الله الجنة » [5] .

---

(١) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده د . يوسف القرضاوى ص ٣٢١ .

(٢) الطبراني .

(٣) متفق عليه . انظر دليل الفالحين : ٣/١١٣ .

(٤) رواه مسلم . المصدر السابق ص ٣/١١٠

(٥) مختصر صحيح مسلم : ص ٢٣٠ .

وجاء فى الصحيحين ـ عن أبي قتادة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها »[1] .

وحمل القرآن ـ حملة شعواء ـ على أولئك القساة الذين يقتلون أولادهم ـ إناثاً كانوا أو ذكورا ـ فقال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٤٠)

وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١)

وجعل رسول الإسلام الجنة جزاء كل أب يحسن صحبة بناته ، ويصبر على تربيتهن وحسن تأديبهن . وروى ابن عباس عنه أنه ﷺ قال : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه ـ أو صحبهما ـ إلا أدخلتاه الجنة »[2]

ونصت بعض الأحاديث على أن هذا الجزاء ـ دخول الجنة ـ للأخ الذي يعول أخواته أو أختيه أيضاً . كما نص بعض آخر على أن هذه المكافآت الإلهية ، لمن أحسن لجنس البنات ولو كانت واحدة . ففى حديث أبي هريرة : « من كان له ثلاث بنات ، فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ، أدخله الله الجنة برحمته إياهن » . فقال رجل: واثنتان يا رسول الله ؟ قال:« واثنتان ». قال رجل : يا رسول الله ، وواحدة ؟ قال : « وواحدة »[3] وبهذه النصوص الصحيحة الصريحة ، والبشارات المكررة المؤكدة ، لم تعد ولادة البنت عبئاً يخاف منه ، ولا طالع نحس يتطير به ، بل نعمة تشكر ورحمة ترجى وتطلب ، لما وراءها من فضل الله تعالى ، وجزيل مثوبته .

---

(١) قال الإمام النووى فى شرحه الصحيح مسلم : (١٣٢/٥) ليس فى الحديث دلالة على مشروعية العبث فى الصلاة كما استنبط من يهوى الشذوذ عن الفقه .

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح . وابن حبان والحاكم ؟

(٣) رواه الحاكم وصحح إسناده ووافق الذهبي .

وبهذا أبطل الإسلام عادة الوأد إلى الأبد . وأصبح للبنت فى قلب أبيها مكان عميق، يتمثل فى قول النبي ﷺ فى ابنته فاطمة:« فاطمة بضعة منى ، يريبنى ما رابها ».

ونلمس أثر ذلك فى الأدب الإسلامي فى مثل قول الشاعر :

لولا بنيات كزُغْب القطا ... رُددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع ... فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض
إن هبَّت الريح على بعضهم ... امتنعت عينى عن الغمض[1]

وفى رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت :

(أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون :

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضِّلت النساءُ على الرجال
وما التأنيثُ لاسم الشمس عيْبٌ ... وما التذكير فخرٌ للهلال

وقال :

أحبُّ البناتَ فحُبُّ البنا ... ت فرضٌ على كُل نَفس كريمة
لأن شعيباً لأجل البنا ... ت أخدمه الله موسى كليمه

وكان لمعن بن أوس ثمان بنات ، وكان يقول : « ما أحب أن يكون لى بهن رجال » وفيهن قال :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم ... وفيهن ــ لا تُكْذَبُ ــ نساء صوالحُ
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... عوائد لا يمللنه ونوائحُ

---

(١) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده د . يوسف القرضاوى ص ٣٣٤ .

وقال العلوى الجمانى فى صديق له ولدت له بنت فسخطها :

قالوا له: ماذا رزقتا ... فأصاخ ثُمَّتْ قال : بنتا
وأجلُّ من ولد النساء ... أبو البنات، فلم جزعتا
إن الذين تَوَدُّ من ... بين الخلائق ما استطعتا
نالوا بفضل البنت ما ... كبتوا به الأعداء كبتا

وقال أبو محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :-

حبذا من نعمة الله ... البناتُ الصالحات
هن للنسل وللأنس ... وهن الشجرات
وبإحسان إليهن ... تكون البركات
إنما الأهلون أرضون ... لنا محترثات
فعلينا الزرع فيها ... وعلى الله النبات[1]

● تكريم الإسلام المرأة الأنثى *

قدر الإسلام أنوثة المرأة ، واعتبرها ـ لهذا الوصف ـ عنصراً مكملاً للرجل ، كما أنه مكمل لها ، فليس أحدهما خصماً للآخر ، ولا نداً له ولا منافساً ، بل عوناً له على كمال شخصه ونوعه .

فقد اقتضت سنة الله فى المخلوقات ، أن يكون الازدواج من خصائصها فنرى الذكورة والأنوثة فى عالم الإنسان والحيوان والنبات .

وإلى ذلك أشار القرآن منذ أربعة عشر قرناً فقال :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩)

فالذكر والأنثى كالعلبة وغطائها، والشيء ولازمه ، لا غنى لأحدهما عن الآخر.

---

(١) ينظر عودة الحجاب محمد أحمد إسماعيل ص ٢٢٥ .

(*) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده بتصرف د . يوسف القرضاوى .

فالمرأة ـ بهذا ـ غير الرجل ، لأنها تكمله ويكملها ، والشيء لا يكمل نفسه والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران:٣٦)

ومع هذا لم تخلق لتكون نداً له ولا خصماً بل هى منه له :﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (النساء:٢٥)

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (النحل:٧٢) .

واقتضت حكمة الله أن يكون التكوين العضوى والنفسى للمرأة يحمل عناصر الجاذبية للرجل وقابلية الانجذاب إليه .

وركب الله فى كل من الرجل والمرأة شهوة غريزية فطرية قوية تسوقهما إلى التجاذب واللقاء حتى تستمر الحياة ويبقى النوع .

وعلى هذا الأساس من النظر إلى فطرة المرأة ، وما يجب أن تكون عليه فى علاقتها بالرجل ، يعامل الإسلام المرأة ، ويقيم كل نظمه وتوجيهاته وأحكامه .

إنه يراعى أنوثتها الفطرية ، ويعترف بمقتضياتها فلا يكبتها ولا يصادرها ، ولكنه يحول بينها وبين الطريق الذي يؤدى إلى ابتذالها . وامتهان أنوثتها ، ويحميها من ذئاب البشر ، وكلاب الصيد ، التى تتخطف بنات حواء ، لتنهشها نهشاً ، وتستمتع بها لحماً ، ثم ترميها عظماً [1].

ونستطيع أن نحدد موقف الإسلام من أنوثة المرأة فيما يلى :

١ – إنه يحافظ على أنوثتها ، حتى تظل ينبوعاً لعواطف الحنان والرقة والجمال ، ولهذا أحل لها بعض ما حرم على الرجال ، بما تقتضيه طبيعة الأنثى ووظيفتها ، كالتحلى بالذهب ، ولبس الحرير الخالص ، فقد جاء فى الحديث : « إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم » [2]

---

(١) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده د . يوسف القرضاوى ص ٣٦٥ .

(٢) رواه ابن ماجه جـ ٢ برقم (٣٥٩٥) عن على، وهو صحيح بمجموع طرقه .

كما أنه حرم عليها كل ما يجافى هذه الأنوثة ، من التشبه بالرجال فى الزى والحركة والسلوك وغيرها ، فنهى أن تلبس المرأة لبسة الرجل ، كما نهى الرجل أن يلبس لبسة المرأة ، وجاء فى الحديث : « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » [١]

ولعن المتشبهات من النساء بالرجال ، مثلما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء[٢]

وفى الحديث:« **ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة ــ المتشبهة بالرجال ــ والديوث** » [٣]

والديوث: الذى لا يبالى من دخل على أهله

وفى الحديث الآخر : « لعن الله الرجلة من النساء » [٤]

٢- وهو يحمى هذه الأنوثة ويرعى ضعفها ، فيجعلها أبداً فى ظل رجل ، مكفولة النفقات ، مكفية الحاجات ، فهى فى كنف أبيها أو زوجها أو أولادها أو إخواتها ، يجب عليهم نفقتها ، وفق شريعة الإسلام ، فلا تضطرها الحاجة القاهرة إلى الخوض فى لجج الحياة وصراعها ومزاحمة الرجال بالمناكب من أجل لقمة العيش ، وهو ما فعلته المرأة الغربية بحكم الضرورة ، حيث لا يرعاها أب ولا ابن ولا أخ ولا عم ، فاضطرت أن تقبل أى عمل ، وبأى أجر ، وقاية من الهلاك .

٣- وهو يحافظ على خلقها وحيائها ، ويحرص على سمعتها وكرامتها ، ويصون عفافها من خواطر السوء ، وألسنة السوء ــ فضلاً عن أيدى السوء ــ أن تمتد إليها [٥] .

---

(١) رواه عن أبي هريرة:أبو داود (٤٠٩٨)، ونسبه المنذرى للنسائى أيضاً، كما رواه أحمد:٢/٣٢٥.

(٢) رواه عن ابن عباس البخارى فى كتاب اللباس ، كما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، صحيح الجامع الصغير (٥١٠٠) .

(٣) رواه أحمد عن ابن عمر، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح (١٦٨٠)، ورواه النسائى: ٥/٨٠ .

(٤) رواه أبو داود عن عائشة ، صحيح الجامع الصغير (٥٠٩٦) .

(٥) مركز المرأة فى الحياة الإسلامية ص ٤١ د . يوسف القرضاوى .

● تكريم الإسلام المرأة (زوجة)

فإن بركات الله على عباده لا تنفد ، ونعمه إلى خلقه لا تعد ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم:٣٤) ، ومن أظهر هذه النعم وأوضحها أن برأ الله لعباده حلائل تعمر بهن البيوت وتسهل الحياة وتدوم الذرية ، ويكمل الدين والعفاف :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)

والرجل قبل الزواج يعيش فى هذه الحياة فرداً ، ويسعى فى أرجاء الكون وحيداً ، كأنه من شجرة لا يجد لنفسه استقلالاً ، ولا يخصص لهمته مجالاً ، وقد يكون فى يده العمل والمال وأسباب الراحة والمتاع ، ولكنه دائماً يشعر بنقصه ، ويحس بحاجته إلى من يكمل معنى حياته ، فإذا صاحبه التوفيق وتزوج تجدد ميلاده واتسعت حياته ، وكأنه صار شجرة كاملة مستقلة ، غرست فى التربة الخصبة الطاهرة ، فامتدت جذورها فى الأعماق ، وارتفعت أغصانها نحو السماء ، ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم:٢٥)

وكذلك العروس فى بيت أبيها تظل زهرة ناضرة عاطرة « تحوطها الوحدة والحجاب » حتى يهيئ لها مولاها شريك حياتها ورفيق دنياها ، فتصبح روضة عامرة تفيض بالأزهار والرياحين نسلاً طيباً وذرية صالحة ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣٤)

ولم تعد المرأة فى ظل الإسلام كما كانت عند الآخرين دنساً يجب التنزه عنه ، ولكن تسامى الإسلام بالمرأة إلى علياء السمو ، وجعل الزواج من نعمه سبحانه على عباده .

قال سبحانه فى وصف الرسل ومدحهم :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (الرعد:٣٨)

ومدح عز وجل أولياءه بأنهم يسألونه ذلك فى دعائهم ، فقال عز من قائل :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان: ٧٤)

وجعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه ـــ بعد الإيمان بالله وتقواه ـــ وعدها أحد أسباب السعادة ، وفى الحديث : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير ومتاعها المرأة الصالحة » (٢)

وقال : « من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح » (٢).

ورفع الإسلام من قيمة المرأة باعتبارها زوجة ، وجعل قيامها بحقوق الزوجية جهاداً فى سبيل الله .

وقرر الإسلام للزوجة حقوقاً على زوجها **وأول هذه الحقوق هو « الصداق »** الذي أوجبه الإسلام للمرأة على الرجل إشعاراً منه برغبته وإرادته لها .

قال تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾

(النساء: ٤)

وثانى هذه الحقوق هو « النفقة » فالرجل مكلف بتوفير المأكل والملبس والمسكن والعلاج لامرأته . قال عليه الصلاة والسلام فى بيان حقوق النساء : « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »

والمعروف هو ما يتعارف عليه أهل الدين والفضل من الناس بلا إسراف ولا تقتير ، قال تعالى :

---

(١) رواه ابن ماجه . (٢) رواه مسلم . (٣) رواه أحمد .

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ (الطلاق:٧)

وثالث الحقوق : هو «المعاشرة بالمعروف» . قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء:١٩)

ويرى الإمام الغزالى :

«أن معاشرة الزوجة لا تنحصر فى حسن الخلق معها ، وكف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها . والحلم عند طيشها وغضبها» [١]

والمعاشرة بالمعروف تشمل العلاقة الجنسية أيضاً . يقول طبيب الأرواح ﷺ : «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها ، فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها» . فليصدقها : بمعنى فليؤنسها ويمتعها ، لأنها مسؤولية مشتركة ، فينبغى أن يقضى الطرفان مأربهما من هذه المتعة الروحية .

ويروى عنه ﷺ : «لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ولكن ليكن بينكما رسول»

قيل وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : «القبلة والكلام» [٢]

فالقبلة الدافئة ، والكلمة الحانية ، والمداعبة ، والملامسات .... كلها مقدمات للمباشرة الجنسية الناجحة .

إن الإسلام فى الوقت الذي منع المرأة من أن تفوت هذا الحق على زوجها إذا كان عذرها طوعى حتى لو كان من العبادة النافلة ، قال عليه الصلاة والسلام : «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه» [٣] .

---

(١) إحياء علوم الدين : ١٣٥٢ .

(٢) أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس .

(٣) متفق عليه . انظر دليل الفالحين : ١٤٣/٣ .

كذلك أعطى المرأة فى ذلك .... كحق الرجل سواء بسواء ، فلا يحل له الامتناع عنها . بل إن الشريعة الإسلامية تتيح للمرأة حق طلب الطلاق ، إذا ما تعمد حرمانها من حقها هذا ، بدليل قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٦-٢٢٧)

وفيما يتعلق بجانب القضاء من هذه المسألة ، اختلف الفقهاء فيما يلزم الزوج من ذلك ، فقال أبو حنيفة : يلزم الرجل أن يتصل بزوجته فى كل أربع ليال مرة[١]

والأصل فى ذلك ما روى من أن كعب بن سور ، كان جالساً عند عمر ــ رضى الله عنه ــ فجاءت امرأة ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ، ويقوم الليل . فقال عمر : ما أحسنك ثناء على زوجك . فقال كعب : يا أمير المؤمنين إنها تشتكى إليك زوجها .فقال عمر : وكيف ذلك . فقال كعب : إذا صام النهار . وقام الليل ، فكيف يتفرغ لها ؟ فقال عمر : احكم بينهما ، فإنك فهمت من أمرها ما لم أفهم . فقال كعب : أراها إحدى نسائه الأربع ، يفطر لها يوماً ويصوم ثلاثة أيام . فاستحسن الخليفة ذلك ، وولاه قضاء البصرة[٢]

وقال بعض الفقهاء : يلزم الزوج من ذلك مرة كل أربعة أشهر ، واستدلوا على ذلك بمدة الإيلاء .

وقال فريق آخر : إن الزوج لا يُلزم بمرات محدودة وإنما يلزمه من ذلك بقدر ما يعف زوجته ويبعدها عن الحرام ، فإن تنازع الزوجان فى ذلك ورفع الأمر إلى القضاء كان للقاضى أن يقدره بما يراه تبعاً لحال الزوجين

وهذا هو الرأى النابض الذي ينسجم مع كل زمان ومكان[٣]

---

(١) راجع : فتح القدير ٢/٥١٨ .
(٢) المغنى : ٨/١٤٢ .
(٣) ويسألونك عن المرأة ص ٦٥ عبد الحافظ الكبيسى .

وقد يتعجب القارئ كما تعجب الصحابة رضي الله عنهم من قبل عندما قال ناس منهم للنبي ﷺ : يا رسول الله ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » ! قالوا : « يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون فيها أجر ؟ !» قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان فيها وزر ؟» ، قالوا : « بلى» ، قال : « فكذلك إذا وضعها فى الحلال ، كان له فيها أجر » [1] الحديث .

وروى ابن حبان عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى» وقد أثبتت السيرة النبوية العملية لطفه ـــ عليه الصلاة والسلام ـ بأهله وحسن خلقه مع أزواجه .

● **تكريم الإسلام للمرأة (أماً)**

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ * وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان:١٤-١٥)

ولكون الأم عناؤها أكثر ، وشفقتها أعظم مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاع وسهر ليل ، وتلطخها بالقذر والنجس ، وتجنبها للنظافة والترفه ـــ زاد الشارع فى الوصية ببرها ، وحض على العناية بشأنها . جاء رجل فقال : « يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » [2]

---

(١) رواه مسلم (٢/٦٩٧) والسياق له ، والنسائى فى « عشرة النساء» والإمام أحمد .

(٢) رواه الشيخان .

وروى أنه « جاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان فى صبي لهما، فقال الرجل : ولدى خرج من صلبي ، وقالت الأم : يا رسول الله حمله خفاً ووضعه شهوة ، وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين. فقضى به ﷺ للأم» .

ولهذا وصي الله الإنسان بوالديه ، وذكره بما قاسته أمه فى سورة الأحقاف فقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف:١٥)

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمه على رقبته فقال : يا ابن عمر أترى أنى جزيتها ؟ قال : لا ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً .

وروى «أن ابن عمر شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره ويقول : [1]

إنى لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر
الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم قال : يا ابن عمر أترانى جزيتها . قال لا ولا بزفرة واحدة»

ويحكى أن رجلاً جاء إلى أبي إسحاق البخارى فقال : «رأيتك البارحة فى المنام أن لحيتك مرصعة بالجواهر واليواقيت . قال : صدقت . فإنى مسحت لحيتى تحت قدم أمى قبل أن أنام فهذا من ذاك» . وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : « إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . قال : هل بقى من والديك أحد ؟ قال : أمى . قال : قابل الله فى برِّها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد»[2] وروى أن رجلاً قال : « يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك . قال : هل لك من أم ؟ قال : نعم ، قال : فالزمها فإن الجنة عند رجلها »[3] .

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد . (٢) رواه أبو يعلي بسند جيد . (٣) رواه الطبراني .

وعن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :« إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب »[1] .

وعن أبي رمثة رضى الله عنه قال : « انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسمعته يقول : « بِرَّ أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك »[2] .

قال البغوي : « وقد صح عن البراء عن النبي ﷺ قال :« الخالة بمنزلة الأم »[3] .

لأمِّك حقٌّ لو علمت كبيرُ ... كثيرُك يا هذا لديه يسيرُ
فكم ليلة باتتْ بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنَّةٌ وزفيرُ
وفى الوضع لو تدرى عليم مشقة ... فمن غصص منها الفؤادُ يطيرُ
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجْرُها إلا لديك سَريرُ
وتُفديك ممَّا تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شربٌ لديك نميرُ
وكم مرة جاعتْ وأعطتك قُوتَها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغيرُ
فآها لذى عقل ويتبع الهوى ... وآهاً لأعمى القلب وهو بصيرُ
فدونك فارغب فى عميم دُعائها ... فأنت لمَا تدعو إليه فقيرُ

ومن عجيب ما جاء به الإسلام أنه أمر ببر الأم وإن كانت مشركة ، فقد سألت أسماء بنت أبي بكر النبي ﷺ عن صلة أمها المشركة ، وكانت قدمت عليها ، فقال لها : « نعم ، صِلِى أمك »[4] .

---

(١) أخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (٦٠) واللفظ له ، وابن ماجه (٣٦٦١)، والحاكم (١٥١/٤)، والإمام أحمد (١٣٢/٤، ١٣١) ، وصححه الألباني .

(٢) أخرجه الحاكم (١٥١/٤) واللفظ له ، والإمام أحمد (٢٦٦/٢) ، وصححه الألباني فى « إرواء الغليل » (٣٢٢/٣) ، وتأمل كيف قدم الأم على الأب ، وكذا قدم الأخت على الأخ .

(٣) رواه الترمذى وقال هذا حديث صحيح .

(٤) متفق عليه عن أسماء .

ومن رعاية الإسلام للأمومة وحقها وعواطفها : أنه جعل الأم المطلقة أحق بحضانة أولادها ، وأولى بهم من الأب .

قالت امرأة : يا رسول الله ، إن ابني هذا ، كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجرى له حواء ، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينتزعه مني ! فقال لها النبي ﷺ : « أنت أحق به ما لم تنكحي »[1] .

واختصم عمر وزوجته المطلقة إلى أبي بكر في شأن ابنه عاصم ، فقضى به لأمه ، وقال لعمر : « ريحها وشمها ولفظها خير له منك »[2] .

والأم التي عني بها الإسلام كل هذه العناية ، وقرر لها كل هذه الحقوق ، عليها واجب : أن تحسن تربية أبنائها ، فتغرس فيهم الفضائل ، وتبغضهم في الرذائل ، وتعودهم طاعة الله ، وتشجعهم على نصرة الحق ، ولا تثبطهم عن الجهاد ، استجابة لعاطفة الأمومة في صدرها ، بل تغلب نداء الحق على نداء العاطفة .

ولقد رأينا أماً مؤمنة كالخنساء ، في معركة القادسية تحرض أبناءها الأربعة وتوصيهم بالإقدام والثبات في كلمات بليغة رائعة ، وما أن انتهت المعركة حتى نُعوا إليها جميعاً ، فما ولولت ولا صاحت ، بل قالت في رضا ويقين : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله !![3]

● المرأة عضواً في المجتمع[4]

يشيع بعض المغرضين أن الإسلام حكم على المرأة بالسجن داخل البيت ، فلا تخرج منه إلا إلى القبر ! .

---

(١) رواه أحمد وإسناده ضعيف .

(٢) رواه سعيد في سننه .

(٣) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده د . يوسف القرضاوي ص ٣٢٠ .

(٤) مركز المرأة في الحياة الإسلامية د . يوسف القرضاوي

فهل لهذا الحكم سند صحيح من القرآن والسنة ؟ ومن تاريخ المسلمات فى القرون الثلاثة الأولى ، التى هى خير القرون ؟ لا .... ثم لا .

فالقرآن يجعل الرجل والمرأة شريكين ، فى تحمل أعظم المسؤوليات فى الحياة الإسلامية ، وهى مسؤولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

يقول الله تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (التوبة: ٧١)

وتطبيقاً لهذا المبدأ وجدنا امرأة فى المسجد تردُّ على أمير المؤمنين عمر الفاروق وهو يتحدث فوق المنبر على ملأ من الناس ، فيرجع عن رأيه إلى رأيها ويقول بصراحة : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » [١] والنبي ﷺ يقول :« طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢] .

فيجمع علماء المسلمين على أن المسلمة أيضاً داخلة فى معنى الحديث ففرض عليها أن تطلب من العلم ما يصحح عقيدتها ، ويقوِّم عبادتها ، ويضبط سلوكها بأدب الإسلام فى اللباس والزينة وغيرها ، ويقفها عند حدود الله فى الحلال والحرام ، والحقوق والواجبات ، ويمكنها أن تترقى فى العلم حتى تبلغ درجة الاجتهاد .

وليس لزوجها أن يمنعها من طلب العلم الواجب عليها ، إذا لم يكن هو قادراً على تعليمها، أو مقصراً فيه . فقد كان نساء الصحابة يذهبن إلى النبي ﷺ يسألنه فيما يعرض لهن من شؤون ، ولم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين .

وصلاة الجماعة ليست مطلوبة من المرأة ، طلبها من الرجل ، فإن صلاتها فى بيتها قد تكون أفضل لظروفها ورسالتها، ولكن ليس للرجل منعها إذا رغبت فى صلاة الجماعة بالمسجد ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[٣].

---

(١) ذكره ابن كثير فى التفسير وجود إسناده .

(٢) رواه ابن ماجه جـ ١ برقم (٢٢٤) عن أنس ، وصححه السيوطى قديماً والألبانى حديثاً .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر : ٣٢٧/١ برقم (٤٤٢) .

وللمرأة أن تخرج من بيتها ، لقضاء حاجة لها أو لزوجها وأولادها ، فى الحقل أو السوق ، كما كانت تفعل ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر ، فقد قالت : « كنت أنقل النوى على رأسي من أرض الزبير ـ زوجها ـ وهى من المدينة على ثلثي فرسخ » .

وللمرأة أن تخرج مع الجيش ، ولتقوم بأعمال الإسعاف والتمريض وما شابه ذلك من الخدمات الملائمة لفطرتها ولقدراتها .

روى أحمد والبخارى عن الربيع بنت معوذ الأنصارية قالت : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمه ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة »[1] .

وروى أحمد ومسلم عن أم عطية قالت : « غزوت مع رسول الله ﷺ ، سبع غزوات ، وأخلفهم فى رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على الزمنى »[2] .

فهذه هى الأعمال اللائقة بطبيعة المرأة ووظيفتها ، أما أن تحمل السلاح وتقاتل وتقود الكتائب فليس ذلك من شأنها ، إلا أن تدعو لذلك حاجة ، فعند ذلك تشارك الرجال فى جهاد الأعداء بما تستطيع ، وقد اتخذت أم سليم يوم « حنين » خنجراً ، فلما سألها زوجها أبو طلحة عنه قالت : « اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه »[3] .

وقد أبلت أم عمارة الأنصارية بلاء حسناً فى القتال يوم « أحد » ، حتى أثنى عليها النبي ﷺ ، وفى حروب الردة شهدت المعارك بنفسها ، حتى إذا قتل مسيلمة الكذاب عادت وبها عشر جراحات .

فإذا شاع فى بعض العصور حبس المرأة عن العلم ، وعزلها عن الحياة ، وتركها فى البيت كأنها قطعة من أثاثه ، لا يعلمها الزوج ، ولا يتيح لها أن تتعلم

---

(١) رواه أحمد : ٦/٣٥٨ . ، والبخاري فى كتاب الجهاد والسير : ٣/٢٢٢ .

(٢) رواه أحمد : ٦/٤٠٧ ، ومسلم (١٨١٢) .

(٣) رواه مسلم برقم (١٨٠٩) .

ـ حتى إن الخروج إلى المسجد أصبح عليها محرماً ـ إذا شاعت هذه الصورة يوماً فمنشؤها الجهل والغلو والانحراف عن هدى الإسلام ، واتباع تقاليد مبالغة فى التزمت ، لم يأذن بها الله ، والإسلام ليس مسؤولاً عن هذه التقاليد المبتدعة .

إن طبيعة الإسلام هى التوازن المقسط ، فى كل ما يشرعه ويدعوا إليه من أحكام وآداب ، فهو لا يعطى شيئاً ليحرم آخر ، ولا يسرف فى إعطاء الحقوق ، ولا فى طلب الواجبات .

ولهذا لم يكن من هَمِّ الإسلام تدليل المرأة على حساب الرجل ، ولا ظلمها من أجله ، ولم يكن همه إرضاء نزواتها على حساب رسالتها ، ولا إرضاء الرجل على حساب كرامتها ، وإنما نجد أن موقف الإسلام تجاه المرأة يتمثل فيما يلى :

(أ) إنه يحافظ ـ كما قلنا ـ على طبيعتها وأنوثتها التى فطرها الله عليها ويحرسها من أنياب المفترسين الذين يريدون التهامها حراماً ، ومن جشع المستغلين الذين يريدون أن يتخذوا من أنوثتها أداة للتجارة والربح الحرام .

(ب) إنه يحترم وظيفتها السامية التى تهيأت لها بفطرتها، واختارها لها خالقها. الذي خصها بنصيب أوفر من نصيب الرجل ، فى جانب الحنان والعاطفة ، ورقة الإحساس ، وسرعة الانفعال ، ليعدها بذلك لرسالة الأمومة الحانية ، التى تشرف على أعظم صناعة فى الأمة وهى صناعة أجيال الغد .

(ج) إنه يعتبر البيت مملكة المرأة العظيمة ، هى ربته ومديرته وقطب رحاه ، فهى زوجة الرجل ، وشريكة حياته ، ومؤنس وحدته ، وأم أولاده ، وهو يعد عمل المرأة فى تدبير البيت ، ورعاية شؤون الزوج ، وحسن تربية الأولاد ، عبادة وجهاداً ، ولهذا يقاوم كل مذهب أو نظام يعوقها عن رسالتها ، أو يضر بحسن أدائها لها ، أو يخرب عليها عشها .

إن كل مذهب أو نظام يحاول إجلاء المرأة عن مملكتها، ويخطفها من زوجها، وينتزعها من فلذات أكبادها ـ باسم الحرية ، أو العمل ،أو الفن ، أو غير ذلك ـ هو فى الحقيقة عدو للمرأة ، يريد أن يسلبها كل شيء ، ولا يعطيها لقاء ذلك شيئاً يذكر، فلا غرو أن يرفضه الإسلام .

(د) إنه يريد أن يبنى البيوت السعيدة ، التى هى أساس المجتمع السعيد ، والبيوت السعيدة إنما تبنى على الثقة واليقين ، لا على الشك والريبة ، والأسرة التى قوامها زوجان يتبادلان الشكوك والمخاوف ، أسرة مبنية على شفير هار ، والحياة فى داخلها جحيم لا يطاق .

(هـ) إنه يأذن لها أن تعمل خارج البيت فيما يلائمها من الأعمال التى تناسب طبيعتها واختصاصها وقدراتها ، ولا يسحق أنوثتها ، فعملها مشروع فى حدود وبشروط . وخصوصاً عندما تكون هى أو أسرتها فى حاجة إلى عملها خاصة . [1]

---

(١) مركز المرأة فى الحياة الإسلامية د . يوسف القرضاوى .